# تقديم

جوردون كريج ـ مؤلف هذا الكتاب ـ هو المخرج والمدير المسرحى البريطانى الذى أخرج الفن المسرحى فى بلاده فى عشرينات القرن العشرين من حالة الجمود والتدهور التى عاشها طوال القسم الأكبر من القرن التاسع عشر ، عندما تمسك أهل الفن المسرحى فى بريطانيا بمجموعة من الثوابت الجامدة تتعلق بمختلف جوانب الإبداع ـ والإدارة ـ المسرحيين . . وفى هذا الكتاب يقدم كريج ـ قرين كوستانتين ستانسلافسكى فى روسيا وزميله ـ خلاصة تجربته فى الإبداع المسرحى بوصفه مخرجا ومديراً فنياً لأكبر مسارح بلاده فى تلك المرحلة . إنها تجربة لا تهم المبدع المسرحى وحده ـ مؤلفاً كان أو مخرجاً أو ممثلاً أو فنياً أو مصمم مناظر وأزياء وحركة ـ وإنما هى تجربة تهم كل من يريد أن يحسن تذوق الفن المسرحى والاستمتاع بالإبداع المسرحى ذاته . . إن المتفرج أو «المتلقى» لا يقل أهمية بالنسبة للفن عموماً ، وللفن المسرحى بشكل خاص ـ عن الفنان المسرحى المبدع . . ولذلك فإن « واسطة العقد » من هذا الكتاب هو هذا «الباب» الطويل الذى يدير فيه كريج الحوار الخلاق بين المخرج والمتفرج حول ما ينبغى أن يريده المتفرج من الفن المسرحى ، وكيف ينبغى أن يسعى المبدع ـ المخرج ـ وهو «مؤلف العرض المسرحى» إلى الوصول بفنه إلى المستوى اللائق بذوق ومعرفة هذا المتفرج الذكى . .

ولأن كريج كتب كتابه هذا بعد رحلة طويلة مع الإبداع المسرحى من ناحية، ومع مختلف جوانب هذا الإبداع وما يحتاج إليه من «مهارات» وقدرات من ناحية ثانية ، ومع

مختلف المدارس الأوروبية القومية فى الإبداع المسرحى [ فى إيطاليا وألمانيا وروسيا بشكل خاص] من ناحية ثالثة ، فإننا ـ نحن القراء الذين ننتظر من المسرح أن يسمو بمشاعرنا وأحاسيسنا وأن يمتعنا وهو يأخذنا إلى عوالمه الباهرة ـ المرئية المسموعة المتحركة الحية ـ سوف نكتشف أن هذا المبدع المسرحى الكبير كان فى الحقيقة بداية عملية ونظرية معا للحركة التى شهدتها «الصنعة المسرحية» فى الغرب وفى العالم عندما شرعت تتفاعل مع مختلف التغيرات والكشوف التكنولوجية والمعرفية التى شهدها القرن العشرون لكى يصل المسرح فى بريطانيا والغرب والعالم إلى ما نراه الآن ونعرفه من حرفية عالية متقنة ومتنوعة وشاملة . .

وكما يتلقى المتفرج ـ من المنصة المسرحية ـ موجات متتالية متفاعلة ومتداخلة كالضفيرة المحكمة من الانفعالات والأفكار والمشاعر ، المتولدة من تفاعل «ضفيرة» أخرى من عناصر صنع الفعل المسرحى (الكلمات والأضواء وأصوات الممثلين وتحركات أجسادهم وتعبيرات وجوههم والموسيقى والألوان فى الأزياء وفى الديكور . . إلخ . . الخ) . . كذلك فإن كريج يكتشف أن هذا الفن الشامل المركب ـ الذى يتجه بكل شمول عناصره المتفاعلة إلى متفرج يتجمع كل ملكاته الوجدانية / الشعورية / الذهنية لكى يتلقى الإبداع الفنى ويستمتع به ـ هو الفن الذى يحتاج إلى فنان قادر على استيعاب كل مفردات إبداعه وعوامله ، وعلى توظيفها بدقة وبوعى معا . .

ولعل هذا المعنى هو ـ من ناحية ـ المعنى الرئيسى لما يحمله كتاب : فى الفن المسرحى ، بوصفه خلاصة لتجربة مبدع مسرحى عظيم ؛ ولكنه ـ للأسف ـ هو المعنى الذى فات الحركة المسرحية المصرية التى استقبلت هذا الكتاب ـ رغم ذلك ـ بالترحيب والحرص على الانتفاع به بأقصى قدر ممكن . .

لقد انتبه النقاد والمبدعون المسرحيون المصريون إلى معنى «الفنان المسرحى الشامل» الذى يتقن ويعرف كل فنون وخبايا الإبداع المسرحى ؛ ولكنهم لم ينتبهوا من ناحية إلى معنى شمول الفن المسرحى وتركيبه لكل أنواع التعبير الفنى وتضافرها متفاعلة متدافعة كالموجات من لحظة بداية العرض المسرحى حتى لحظة نهايته ؛ ثم لم ينتبهوا ـ من ناحية ثانية ـ إلى معنى شمول المتفرج نفسه .

إن الفن المسرحى الشامل يحتاج إلى ـ بل يقوم على ـ فنان مبدع شامل، وإلى متفرج شامل أيضاً . ولذلك فإننا نحتاج ـ فى مصر وفى الوطن العربى على اتساعه ـ إلى إعادة قراءة « فى الفن المسرحى» مرة أخرى ، واكتشاف الأصول التى أعادت الحياة إلى مسرح كان يوشك على الموت فى بدايات القرن . . حتى تكون قوة إضافية إلى قوانا التى نـتجمعها الآن لإعادة الحياة إلى مسرحنا المصرى من جديد .

**سامى خشبة**

obeikandl.com

إدوارد جردون كريـــج

## مؤلف هذا الكتاب

# إدوار جوردون كريج

● ولد سنة ١٨٧٢ ـ فى ١٦ يناير ● أبوه الممثل الكبير إدوارد وليم ● أمه إليانور أليس ـ أو إلن ترى أعظم ممثلات المسرح الإنجليزى فى جميع عصوره ● كان يصحب أمه فى معظم رحلاتها بأمريكا وأوربا مما جعله واسع الاطلاع على إمكانيات المسارح فيهما ● ظهر على خشبة المسرح لأول مرة وهو فى الثانية عشرة من عمره فى شيكاغو ● مات أبوه وهو فى الرابعة عشرة من عمره ● احترف التمثيل وهو فى السابعة عشرة وأخذ عقدا بخمسة جنيهات فى الأسبوع ● جن بقراءة الكتب المسرحية فلم يلبث أن أصبح أوسع الناس ثقافة فى جميع الفنون المسرحية ● تخصص فى معظم بطولات شيكسبير ولاسيما روميو وهاملت ومالكو وبتربشيو ● نبغ فى فنون النحت على الخشب ● التحق بفرقة هنرى إرفنج . . ممثلاً أول ● كانت الفرق تستأذن إرفنج ليمثل فيها ● ضاق بجهالة الممثلين والمخرجين فى إنجلترا فاعتزل المسرح ● دعته ألمانيا ثم روسيا فوضع فيهما أسس الإصلاح المسرحى ● زار إيطاليا واستقر فى فلورنسا وافتتح فيها معهدا للتمثيل ● أنشأ مجلة الـ «ماسك» . . فكانت أولى المجلات المسرحية ● شبت حرب ١٠١٤ فأغلق المعهد ● شهدت له أوربا كلها وأمريكا . وتسابقت مسارحها إلى الانتفاع بفنه فى الإخراج وبثقافته المسرحية ● ثم استيقظت إنجلترا . . فعرفت فضله . . ووضعت أسس نهضتها المسرحية وفقا لتعاليمه ● تتلمذ عليه أعظم مخرجى أوربا الوسطى ، فضلاً عن روسيا وألمانيا ودنمركة ● اجتمع فنانو أوربا وأمريكا سنة ١٩٤٦ فبايعوه بوصفه رائد الإصلاح المسرحى سنة ١٩٠٥ ● ألف كتاب «فن المسرح» ونشره سنة ١٩٠٥ بالألمانية قبل أن ينشره بالإنجليزية ● زاره رينهارت سنة ١٩٠٥ ليدرس آراءه ● زاره آبيا ـ أعظم مخرجى عصره ـ فرأى فيه نفسه . . وفنه ● وضع كتاباً عن هنرى إرفنج سنة١٩٣٠ وقوبل بالإعجاب ● أخذ المسرح المصرى بفن كريج . . ولكن . . !

( د . خ . )

obeikandl.com

## مقدمة الطبعة الثانية

حينما صدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة سنة ١٩٥٦ كان القراء ، ولا سيما من أهل المسرح ، يحسبون أنه كتاب تعليمى وضعه مؤلفه ليلقى عليهم دروسا فى فنون المسرح ، وفاتهم أن المؤلف إنما أراد به أن يوحى إلى من بأيديهم مقاليد المسرح فى كل بلد من بلاد العالم بِمُثُل عليا يحاربون بها الفساد المستشرى فى مسارحهم ، والذى يباعد بينهم وبين الفن المسرحى الرفيع . . وهذا هو الغرض الأساسى من الكتاب . . والعجيب أن العيوب التى شن عليها المؤلف حملته لا تزال هى داء المسرح العياء ، ولا سيما فى مصر . . وفى مقدمة هذه العيوب إغراق كل المشتغلين بالمسرح عندنا فى حمأة المذهب الواقعى وفرعه النغل غير الشرعى ، المذهب الطبيعى . . فالمؤلفون يغرقون إغراقا قبيحا فى وصف الحياة عندنا وصفا فتوغرافيا يهوى بالجمهور إلى القاع ، وقلما يرتفع بهم إلى القمة . . والمخرجون يضاعفون ما رسمه المؤلف قبحا بتجسيم ما يضطرب به هذا القاع من أمراض وعلل ، ويلجأون دائما إلى كشف العورات المستورة التى لا تصلها بالفن صلة ، وهم يفعلون هذا فى مبالغة تصدم الذوق ، وتُغشى النفس وتنفر عين الفنان . . ويأتى الممثلون فيغرقون هم كذلك فى تقليد المرضى الذين يحيون فى هذا القاع البائس ، وهم لا يكتفون بتقليدهم ؛ بل يبالغون فى هذا التقليد تلك المبالغة التى تخرجهم عن حدود المعقول ؛ بحجة أن هذه هى الصنعة المسرحية الحقيقية والصنعة الحقيقية المسرحية من هذا كله براء ، والفن الحقيقى برىء من هذا البلاء .

ليس هذا الكتاب إذن كتابا تعليميا . . إنما هو إيحاء وإلهام لرفع الفنان حيثما كان ،

وأيا كان هذا الفنان من فنانى المسرح . . مؤلفا أو مخرجا أو ممثلا أو عاملا من الذين لا يراهم الجمهور ، وإن كان يتوقف على مجهودهم معظم ما ينعم به الجمهور من ثمرات مسرحية . . والتسامى به على أوضار المذهبين الواقعى والطبيعى . .

الكتاب دعوة ملهمة إلى لباب الفن المسرحى والأخلاق التى يجب أن يتخلق بها العاملون بالمسرح . . إنه رسالة مسرحية وليست نحوًا مسرحيًا . . إنه جرعة من الدواء تشفى المغرورين وأدعياء الفن ومن ينتسبون إلى المسرح ظلما والمسرح منهم براء ، ولعلنا أحوج الأمم إلى فهمه ووعيه ، ولا سيما فى هذه الفترة التى قامت فيها فى بلادنا وزارة للثقافة تُولى عالم المسرح والفنون المسرحية مجهوداً مشكوراً جباراً لا عهد لبلادنا به من قبل ؛ تحقيقاً للآمال التى كانت تداعب أحلامنا ثم تذهب مع الريح . .

هذا . . وقد كان الكتاب باكورة للسلسلة المسرحية التى شرعنا فى ترجمتها من بعده . . والتى كان مؤلفوها جميعا يثنون على مؤلف هذا الكتاب ويعترفون بأنه هاديهم ومرشدهم ، ومن هؤلاء الفنان العالمى الروسى «كونستانتين ستانسلافسكى» الذى ترجمنا له آيته الكبرى : « حياتى فى الفن» والذى خصص منه فصولاً كاملة للتحدث عن فن «إدوارد كريج» وشرح رسالته التى ضمنها هذا الكتاب . . ولن تمضى أيام حتى تظهر الطبعة الأولى من كتاب «إعداد الممثل» وهو المنهاج الذى وضعه «ستانسلافسكى» لتعليم الممثل فن التمثيل وفقا لما كان يوحى به «كريج» ، وطبقاً لما علّم به فنانى مسرح الفن بمدينة «موسكو» حينما كان يخرج لهم مسرحية «هاملت» .

وممن أثنى على «كريج» واعترف بفضله أستاذ المؤلفين المسرحيين الأمريكيين «لاجوس إجرى» . . ذلك المخرج والممثل والأديب المجرى الذى اتخذ مدينة «نيويورك» وطنا ثانياً له ، وأنشأ فيها معهداً لتعليم فن الكتابة المسرحية ، وتخرج على يديه فيها معظم الذين نرى مسرحياتهم اليوم فى مسارح العالم ودور صورها المتحركة . . وقد ترجمنا له كتابه «فن كتابة المسرحية» ذلك الكتاب الذى نرجو مؤلفينا الأفاضل أن يتواضعوا ويقرأوه ليعرفوا كيف يكتبون مسرحية فنية وفقاً لما كان ينصح به «كريج» من التسامى على أدران المذهبين : الواقعى والطبيعى .

وممن أثنوا على «كريج» أيضاً العلامة الأكبر الأستاذ «ألارديس نيكول» الذى ترجمنا له كتابه «علم المسرحية» والذى اعترف فيه بأن الوجهة المسرحية الصحيحة هى الوجهة التى يتزعمها «كريج» ويدعو إليها للتسامى بالمسرح وبجميع المشتغلين فيه . ووزارة الثقافة تترجم «لنيكول» موسوعته المسرحية الكبرى التى يستعرض فيها مسرحيات العالم كله فى مختلف عصور تاريخ المسرح ولن تمضى أيام حتى يظهر المجلد الأول من هذه الموسوعة ، وسيعرف منها القراء مقدار إعجاب «نيكول» بـ «إدوارد كريج» مؤلف كتابنا هذا .

وقصارى القول . . إننا فى فجر نهضة مسرحية لا تبخل الدولة عليها بمال أو جهد . . وواجبنا أن تولى هذه النهضة عناية روحية بصيرة تستعلى على التهريج والهبوط إلى درك الفن الرخيص . . والدعوة إلى محاربة هذا كله هى رسالة مؤلف هذا الكتاب .

**القاهرة ـ الروضة ١٩٦٠**

**درينى خشبة**

obeikandl.com

obeikandl.com

## مقدمة الترجمة

إدوارد جوردون كريج ، مؤلف هذا الكتاب : فنان مثالى ، شغل دنيا المسرح فى أوربا كلها ، أكثر من نصف قرن ، وأحدث فيها دويا عظيماً لفت إليه أنظار الفنانين والشعراء والكتاب المسرحيين وكل المشتغلين بفنون المسرح تأليفاً وإخراجاً ، وتمثيلاً وإضاءة ، وتصميم مناظر وملابس وصناعة ديكورات . . حتى الخدم أنفسهم . . بل أصغر العمال ! . . ولا عجب . . فهو من أسرة ولد كل أفرادها فى المسرح ، واشتغلوا جميعاً بفنونه . . فأمه : إليانور أليس ، التى اشتهرت فى دنيا المسرح باسم إلن ترى Ellen Terry (١٨٤٧ ـ ١٩٢٨) هى أعظم ممثلة تألقت على مسارح إنجلترا وأمريكا . . بل مسارح العالم أجمع . . إنها نجمة مسرح الليسيوم ، وكوكب فرقة هنرى إرفنج العظيم ، وأعظم ممثلة اضطلعت بأدوار شيكسبير الخالد . . والممثلة التى ارتفعت بفن التمثيل إلى ذروة الاحترام والتقديس ، بفنها وأخلاقها . . حتى لقد منحتها جميع جامعات أوربا وأمريكا درجاتها الفخرية عرفانًا بعبقريتها : كما خلع عليها ملك إنجلترا أرفع الألقاب .

وأبوه إدوارد واردل E.A. Wardell الممثل الطائر الذكر ، الذى كان يعمل فى المسرح باسم تشارلز كلى Ch. Kelly .

وجميع أعمامه وأخواله ، وخالاته وأخته ممثلون وممثلات . . ومنهم مخرجون عظماء . .

وزوج أمه الأول المصور الخالد ج . ف . واتس G.F. Watts .

وزوجها الثالث ـ الذى تزوجته بعد أن تجاوزت الستين ، أو اقتربت منها (١٩٠٧) ـ وابنها إدوارد كريج فى الخامسة والثلاثين! هو الممثل الأمريكى العظيم جيمس كرو .G Crew .

وقد عملت أمه فى مسارح وفرق كثيرة غير مسرح الليسيوم . . فهى قد ظلت نجمة فرقة هنرى إرفنج أكثر من سبعة وعشرين عاماً . . ومثلت معه على معظم المسارح الإنجليزية والأمريكية . . وكثير من مسارح ألمانيا وفرنسا ووسط أوربا ، ولما توفى إرفنج سنة ١٩٠٥ تلقفتها المسارح الإنجليزية ، تاركة لها تحديد المرتب الذى يرضيها ، فعملت فى مسارح البرنسس ، والكورت والكوين و: هيز ماجستى . . وكان ابنها كريج ـ المؤلف ـ يصحبها فى كثير من هذه المسارح ـ وكان من أبرع نجوم إرفنج ، بل من أعظم من مثل دورى هملت وماكبث . . وكان يخرج لوالدته الخالدة كثيراً من رواياتها . . لكنه كان يضايق أصحاب الفرق بمثاليته ، التى لا يتصورها العقل ، فى الإخراج . . وكان كريج عنيداً صعب المراس . . لا يخضع لرأى أحد ممن حوله ، ولا ينفذ شيئاً مما يشير به عليه العاملون معه . . وله حق . . وستعرف لماذا ، حينما تفرغ من قراءة هذا الكتاب . . لقد كان كريج سيىء الظن بمسارح أوربا وأمريكا كلها . . وبمسارح إنجلترا بخاصة . . لقد كانت هذه المسارح فى رأيه شيئاً تافها ، بل شيئاً خسيسًا « . . لم يكن يروقه فيها شىء مطلقاً . . لا البناء ، ولا مافى داخل البناء . . لم يكن يروقه التمثيل ولا الممثلون ، ولا الإخراج . . ولا المخرجون . . حتى العمال أنفسهم . . بل المتفرجون أيضاً . . أولئك الذين قضى على أذواقهم المسرح الإنجليزى ، بل مسارح أوربا كلها تقريباً ، وأفسد عليهم حاستهم الفنية . . تلك الجوهرة التى هى أثمن ما وهبنا الله فى هذه الحياة !

ولهذا قرر كريج أن يعتزل التمثيل . . ولم يبال بحزن أمه أشد الحزن ، وقد أمضها هذا القرار ، ولم يبال بوساطة برنردشو ـ أعز أصدقاء والدته التى كان يتخذ منها ملهماً ـ الذى حاول أن يثنى عزمه عن هذا القرار .

قرر كريج اعتزال التمثيل . . والتفرغ لرسالة جديدة . . رسالة تشبه النبوة فى عالم

الفن . . رسالة الإصلاح المسرحى ، وإقامة فنونه على أسس جديدة غير أسس التهريج والدجل التى كانت تكتسح مسارح أوربا وأمريكا . . إذا استثنينا مسرحا أو مسرحين . . أحدهما فى روسيا ، والآخر فى ألمانيا . . ثم لا شىء بعدهما .

وأخذ كريج يبشر برسالته . . والإنجليز كلهم يهزأون به من حوله ، فلماذا ؟! . . لقد كان يقترح أساساً لإصلاح المسرح الإنجليزى ، بل مسارح أوربا وأمريكا كلها ، أن تهدم هذه المسارح جميعاً ، وأن يسرح ممثلوها ومديروها ومخرجوها وعمالها وخدمها ؛ ـ إلى منازلهم . . ثم يظلون فيها إلى أن يتوفاهم ملك الموت . . وإلى أن ينشىء الله قوما آخرين يفرغون طوال حياتهم لدراسة فنون المسرح ، بعد أن تنشأ لهم مسارح جديدة ، يشترط هو أن يولدوا فيها ، ويشبوا بين أركانها ، قبل أن يؤذن لأحدهم بأن يتولى أى أمر من أمورها ، صغيراً كان أو كبيراً .

فلماذا كان يسخط إذن كل هذا السخط على المسرح وكل المشتغلين فيه والمتصلين به!؟ . . هل كانت المسارح فى إنجلترا بخاصة ، وفى أوربا على وجه العموم خرابًا يبابا؟ . . ألم يكن فيها ممثلون عظماء ، ومخرجون خالدون ، ومؤلفون لا يشق لهم غبار؟ . . بالعكس ؛ لقد كان فى ألمانيا عباقرة يصنعون العجائب التى تشبه السحر . . لقد كان فيها جورج الثانى . . أو دوق ساكس مينجن . . وكان فيها ميرهولد Meyerhold وبسكاتور ، ورتشرد فجنر الذى لم تلد مثله البطون . . وكانت فيها حركة المذهب الطبيعى وزعماؤها الذين أنشأوا مسرح الفراى بوهن ، على غرار المسرح الحر فى باريس . . وكان فيها ماكس رينهارت . . هذا المخرج الذى كان يصنع العجائب من أخيب الممثلين والممثلات ! .

وفى روسيا ! . . لقد كان فيها منافس كريج وقرينه : ستانسلافسكى . . وكان فيها فلاديمير دانشكو ، وتيروف .

وفى إنجلترا نفسها . . إنجلترا التى أنجبت أعظم مسارح العالم وأمجد المخرجين وأخلد المؤلفين . . إنجلترا التى أعطت العالم هنرى إرفنج أعظم ممثلى العالم فى عصره ، وصاحب أقوى فرقة تمثيلية فى الدنيا بأسرها . . حيث كانت تعمل أم المؤلف العظيمة . . والمؤلف نفسه . . إرفنج الذى كان يعهد بمناظره وملابسه إلى أمجد فنانى المسرح فى التاريخ كله . . الفنانين الذين تعرض آياتهم اليوم فى أعظم متاحف إنجلترا ، ويقف

حيالها فنانو اليوم خاشعة أبصارهم ترهقهم الحيرة ، ويعقد ألسنتهم الذهول . . المناظر التى وضع تصميماتها الفنان العبقرى جون سنجر سارجت[١] J.S,Sargent والروايات التى وضع تصميماتها صاحب أكبر قلب فى عالم الموسيقى المسرحية : شارل جونود[٢] Gounod ، صاحب ألحان فاوست لـ «جيته» العظيم . . والملابس التى نفذها الفنان ماركوس ستون[٣] M. Stone .

ثم الممثلون الكبار هارلى باركر[٤] ، وبانكروفت[٥] والسير جورج ألكسندر[٦]

---

(١) جون سنجر سارجنت (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥) هو أعظم مصورى الأشخاص فى عصره ، وقد ولد فى فلورنسه ـ مهد الفنون ـ ونشأ بها ودرس فيها ، ثم أرسله أبوه الطبيب إلى باريس ، وإلى ألمانيا ثم إلى إيطاليا . . ثم عرج على إسبانيا قبل ذهابه إلى إنجلترا للإقامة فيها نهائياً . . وهناك تهافت عليه العظماء ليرسمهم وليسلمهم إلى الخلود ، وقد رسم إلن ترى وغيرها من نجوم المسرح الإنجليزى ، وقلما تخلو مكتبة أو معرض إنجليزى من رسومه ، وقد مات فجأة وبلا نذير من مرض .

(٢) شارل فرنسوا جونود (١٨١٨ ـ ١٨٩٣) هو الموسيقار الفرنسى الخالد ، ذو الألحان المقدسة! . . هز جوانب الكنائس بألحانه الدينية ثم فرغ للأوبرا فألقى فيها بكل سحر حلال ـ وقبل أن يضع ألحان فاوست ـ وهى أعظم أمجاده ـ وضع موسيقات خالدة لروايات عدة منها سافو وفيلمون ـ ثم لحن بعدها ملكة سبأ وميريبل وروميو وجولييت . . إلخ . . وله إلى جانب هذه الأمجاد ألحان غنائية فى منتهى الضعف .

(٣) كان ستون من أعظم المصورين الإنجليز وقد تلقى الفن عن أبيه ثم نبغ فى الرسوم التوضيحية الرائعة التى زان بها قصص دكنز وترولوب ، وله لوحات تاريخية ساحرة ، وكان تصميم الملابس المسرحية من أعظم أعماله .

(٤) بدأ «جرا نفل باركر» حياته ممثلا فى الرابعة عشرة فى فرقة سارة ثورن ثم عمل فى فرق أخرى كثيرة من أشهر الفرق الإنجليزية ، ثم عمل مخرجا ـ وإن لم يتخل عن التمثيل فأبدى عبقرية عظيمة ، ولا سيما منذ عمل فى مسرح الكورت حيث أجرى تجاربه الناجحة فى تيسير وسائل الإخراج وعدم المبالغة فى بهرجة المناظر والانتفاع بآليات الاضاءة الحديثة ، مما بهر به أنظار المخرجين الآخرين ، ولا سيما فى أمريكا . . وهو من المؤلفين المسرحيين الممتازين أيضًا، ومن أحسن رواياته (ميراث آل فويسى The Voysey Inheritance ) وبيت مدراس : The Madras House . . ويرجع إليه الفضل فى اجتذاب جولزورثى من القصة إلى المسرحية . . وقد اشترك مع وليم اركو فى تأليف كتابهما عن المسرح القومى ، وفى سنة ١٩٣٣ أصدر كتابه (المسرح المثالى The Exemplary Theatre ) . . وهكذا تفرغ فى أخريات حياته للتأليف المسرحى وإنشاء المحاضرات فى الأدب والإصلاح المسرحى .

(٥) كانت نشأته فى مسارح برمنجهام ثم انتقل إلى لندن ممثلا عظيماً فمخرجا ، وقد تزوج الممثلة اللامعة مس ولتن Miss Wolton وعهد إليه بإدارة مسارح كثيرة مختلفة .

(٦) من أعظم الممثلين والمخرجين الإنجليز ، وقد تولى إخراج طائفة من أعظم الروايات الناجحة لكبار كتاب عصره ولاسيما زوسكار ويلد، وهو من تلاميذ هنرى إيرفنج وقد نهض بالإخراج فى مسرح الأفنيو سنة ١٨٩٠ ثم افتتح مسرحه الخاص ( سنت جيمس) وكان يؤدى دور العاشق أداء لا يدانيه فيه ممثل آخر فى إنجلترا ، وكان يعطف عطفاً عظيماً على مطالب الممثلين ، ويسعى سعيًا حثيثًا فى تحقيقها لهم وضمان مستقبلهم .

والسير هربرت بيربوهم ترى[1] H.B. Tree .

ثم ممثلو وممثلات ، ومخرجو وسط أوربا . . وحركة المسرح الحر فى فرنسا . . ورجال أنطوان . . وجاك كوبر ساحر الإخراج والإضاءة المحيرة .

ألم يكن هؤلاء كلهم يروقون إدوارد كريج؟ . .

لقد كان كريج يدعو إلى مذاهب مسرحية معينة . . لقد كان يهوى الرومنسية وما إليها . . ويمقت المذهب الواقعى وأخاه المذهب الطبيعى . . ولقد كان يفضل فى إخراجه الطرق الإيحائية التى لا تشغل الأنظار بكثرة البهارج والإسراف فى التفصيلات .

وكان يمقت الفردية فى التمثيل ، وكان لهذا السبب يزدرى المغرورين الذين يزهون بأنفسهم ، ويخدعهم شعورهم بأن الجماهير تعبدهم . . أولئك الذين يسميهم الأغرار نجوم المسرح .

لقد كان يطلب إلى الممثل أن يكون نغمة مؤتلفة مع جميع النغمات المسرحية الأخرى ، من ممثلين وممثلات ، وأدوات وأضواء ومناظر وحركات وخطوط وألوان . . ولكنه لم يكن يجد من يرعى هذا فى تمثيله . . وقد جاهد طويلاً لكى يحقق ذلك . . إلا أنه أخفق مؤقتاً ؛ لأن الممثلين والممثلات كانوا لا ينسون غرورهم فوق المسرح ، وكان هم كل منهم أن يصفق له الجمهور وحده . . وأن يقال عنه إنه هو وحده الممثل العظيم الذى لا يبارى . . لماذا؟ . . لأنه كان يخلب ألباب الجمهور بوجهه المعبر ؛ وتقلصات عضلاته التى كان يسرف فى إظهارها إسرافاً يطغى على جميع ما يضمه المنظر ؛ بل ينسخ المسرح كله فى أعين المشاهدين . . فلا يرون إلا حضرة الممثل . . أو حضرة النجم العبقرى! . .

ولما ضاق كريج بهذا الطراز من الممثلين تمنى أن يختفوا جميعاً ، وأن يحل محلهم الممثلون الدمى . . والعرائس . . أو الماريونت .

---

(١) من مواليد لندن ، وتعلم فى إحدى الكليات الألمانية ، واحترف التدريس، ثم ظهر على المسرح لأول مرة سنة ١٨٧٦ ، ثم عين مديراً لمسرح Haymarketمن سنة ١٨٨٧ إلى سنة ١٨٩٦ ، ثم أنشأ مسرحه His Majesty وكان من أعظم مخرجى روايات شكسبير ، وكانت أحب الأدوار التى يقوم بها هى الأدوار الخيالية ( الشبح والساحرة وآريل والضحك . . إلخ) ـ وكان محاضراً عظيماً ولا سيما عن أدوار شيكسبير .

وكان يكره أن يستعين المخرجون ـ أو المديرون المسرحيون ـ أو المديرون الفنيون، كما نسميهم نحن فى مصر ، كان يكره أن يستعين هؤلاء بهذا الجيش من المصورين ومصممى المناظر والأزياء وعمال المكياج والموسيقيين والمطرزين . . إلخ . . يتولون كل كبيرة وصغيرة . . وما على المخرجين بعد ذلك إلا أن يصفقوا لهم .

لقد كان كريج يعجب لهذا المخرج الذى يفاجئه مصور المناظر بأعماله قبل الافتتاح بليلة واحدة . . كما كان يعجب للسيد المخرج الذى لا يرى ممثليه بالمكياج وملابس الرواية إلا فى حفلة الافتتاح نفسها . . أو فى بروفتها : الجنرال . . أى التدريب النهائى!

ولقد كان كريج ينكر على مؤلف المسرحية أن يضع فيها أى شىء من التعليمات ، ويعد هذا منه تدخلا فى أمور فنية لا يفهمها . . لأنها من صميم عمل المخرج .

لقد كان ينكر أن تكون الرواية شيئاً مذكوراً إلى جانب ما يجب على المخرج عمله ؛ لكى يثمر المسرح أعمالاً فنية صرفة ، هى رسالة المسرح العليا .

لقد كانت أمنية كريج أن يلد المسرح مؤلفى رواياته . . كما كان شيكسبير الممثل والمؤلف والشاعر . . وكما كان موليير الممثل والمؤلف والشاعر، وكما كان إسكيلوس، وسوفوكل، وميناندر وبلوتوس ، يؤلفون لمسارحهم التى يعملون معظم حياتهم بين جدرانها! . .

لقد كان كريج يرسم خطة لإصلاح المسرح والارتفاع به ، وانتشاله من الوهدة المخيفة التى تردى فيها . . وكانت هذه الخطة أشبه بالخيال . . وكان الكثيرون من النقاد ومؤرخى المسرح وشراح فنونه يهاجمونها ، ويقرون أن تنفيذها من المحال ، وأن كريج نفسه لم يفلح فى تطبيق الكثير من خطوطها . . ولكن هؤلاء النقاد نسوا أن إخفاق كريج لم يكن مرجعه كريج نفسه . . لأنه أفلح فى إخراج ووضع تصميمات لروايات الشاعر الأيرلندى ييتس « W. B. Yeats » الرومنسية فأذهل أهل دبلن . . وعاشت تصميماته إلى اليوم . . ولا تزال تفتن كل من رآها . . بل لا تزال مناظره تستعمل فى هذه المسرحيات . . بل لقد طار ذكرها فى سماء أوربا كلها بسبب ما كتبه ييتس نفسه

عنها فى كتابه « أفكار عن الخير والشر »[1] حيث يقول إنها كانت تصل مشاهد رواياته، ولاسيما فى ديدو وإينياس ، بسماء الخلود . . وقد تلقف المصلحون فى المسرح الألمانى هذا الكتاب ، فأرسلوا يدعون كريج لزيارة ألمانيا . . وقد وصلته الدعوة فى يوليه من عام ١٩٠٣ ، من الدكتور براهم Dr Brahm مدير مسرح لسنج، فسافر فى أغسطس، وعهد إليه بإخراج ووضع تصميمات اثنتين[2] من مسرحيات « هو فما نستال» فصنع فيهما العجائب ؛ ثم لقى الكونت كسلر فى فيمار ، فتوطدت بينهما صداقة متينة . . وأذهل كريج عاهل المسرح الألمانى بمواهبه المتعددة فقال فيه : « . . ما هذا الرجل ؟! . . إنه كتلة من المواهب والنشاط ! . . إنه حفار لا يبارى ، ومصور لا مثيل له ، وناقد مسرحى غريب الآراء ، وطباع ، وصحفى ، وأديب ، وموسيقار ، ومصمم مناظر مسرحية لم يسبقه إليها أحد فى بساطتها المتناهية ، وقوة سحرها وأسرها وبعدها من البهرج ، ولاعب بالأضواء يأتى من المعجزات مالم يسبقه إليها سحراء فرعون . . إنه يتحكم فى جميع هذه الفنون ببساطة وعبقرية . . وأصابع حاذقة . . وبديهة نفاذة . . » . . واستفاضت شهرة الفنان الكبير فى جميع ألمانيا، ثم فى وسط أوربا . . ولا سيما فى فينا . . عروس الباليهات الموسيقية الراقصة ، المدينة التى تلقفت كريج كما تلقفته برلين وفيمار . . وكانت راقصة الباليه الخالدة إليانورا ديوز E. Duse تعرض مسرحياتها الساحرة فى فلورنسا ، فكتبت إليه تكلفه ببعض المناظر ، فقام بها . . لكن مديرها المحترم لم يفهم فن كريج ، فأهملها . . حتى كتبت ديوز إلى نبى الفن الجديد تستدعيه إلى فلورنسا بعد عام كامل . . فذهب إليها . . وهناك استطاع أن ينفذ إلى فؤاد مديرها حتى ملك عليه لبه . . ووضع لها مناظر لمسرحية إبسن : روزمرشولم Rosmersholm التى حورتها إلى باليه . . وبفضل هذه المناظر ارتفع فن إليانور إلى ذروة مجده . . لقد كانت مناظر بسيطة خالية من البهرج والإسراف ، ولكنها لم تكن من فن هذه الدنيا . . لقد كانت فنا من السماء . . سماء الذوق والعبقرية . . لقد كان فنا يتسم بالتناسب ، والاتساق والنغم المؤتلف

---

(١) Ideas of Good & Evil .

(٢) البندقية الجديدة ثم المروحة البيضاء .

الحنون . . جعل الممثل العظيم سلفينى Salvini يقول وهو جالس بين الكواليس ، والستار يرتفع عن الفصل الأول :! Bella ! Bella ، يقولها فى ذهول ، فيرددها المتفرجون فى الأوديتوريم .

ومنذ ذلك اليوم ذهب فن كريج مع الراقصة الخالدة أينما ذهبت!

ثم ظهر هذا الكتاب بالإنجليزية فى إنجلترا . . بلد كريج . . فقابله المسرحيون بوجوم أيضاً . . وذلك فى الوقت الذى كان فيه ماكس رينهارت M. Reinhardt أعظم ممثلى ألمانيا يستنزف كل ما فى الكتاب من نظريات فى فنون المسرح جميعاً . بحيث جعلته هذه النظريات يتحول من الواقعية الفجة الكئيبة إلى الرمزية الغامضة الفاتنة . . وفى الوقت الذى كانت ترجمات الكتاب إلى الإيطالية والروسية ، والدنمركية ، والنرويجية ، والهولندية، والهنجارية ، والفرنسية ، تنقل فن كريج وتحمل رسالته فتنشرها فى جميع المسارح . . إلا المسارح الإنجليزية !

لقد أصبحت هذه العبارة Craigische Vorstellung التى أرسلها رينهارت على الإخراج المسرحى وفقا لنظريات كريج تتردد على كل لسان فى أوربا . . إلا ألسنة الإنجليز !

وفى سنة ١٩٠٥ . . وصلت راقصة الباليه الأمريكية إيزادورا دنكان I.Duncan إلى برلين ، وكانت شهرة كريج قد عبرت المحيط إلى أمريكا . . فلم يكن لإيزادورا هم إلا أن تلقى هذا الرجل العبقرى ؛ لتنتفع بفنه . . فلما لقيته . . وفهمت رسالته . . لم تتركه . . بل صحبته معها فى جميع رحلاتها إلى القارة . . وانتفعت به أضعاف ما انتفعت به إليانورا ديوز . . وقد صحبها فى رحلتها إلى روسيا . . حيث كان مسرح الفن يخطو خطواته الأولى . . وهناك لقى كريج عاهل المسرح الروسى الأستاذ ستانسلافسكى . . وزميله العظيم فوكين . . وعلى ضوء نظريات كريج ، وفن إيزادورا ، قام الباليه الحديث الذى لا نظير له فى الدنيا كلها اليوم . . الذى أرسى قواعده فوكين وسرجى ديا ـ جيليف[1].

---

(١) Serge Diaghilev ١٨٧٢ ـ ١٩٢٩ رائد تجديد الباليه الروسى وباسمه سميت أعظم فرقه ، ومن فرقته تفرعت فرق نشرت فن الباليه الحديث فى العالم كله (د) .

ولقد كانت تصميمات كريج المسرحية تقوم أكثر ما تقوم على التركيبات المعمارية التى تلقى فى روع المتفرج أنها ترقى به إلى السماء . . أو أنها لا تنتهى به إلا فى أجوازها . . مثال ذلك مشهد هذه السلالم المهولة «اللوحة الأولى» ـ ومدخل القصر فى مسرحية إلكترا «اللوحة الثانية» ببوابته الضخمة وجدرانه التى تضاعف بشحوبها أثر المأساة ، ومشهد المنظر الثانى من الفصل الثانى من مأساة يوليوس قيصر «اللوحة الرابعة» ومشهد الفورم فى هذه المأساة أيضاً «اللوحة السادسة» ومشهد من مأساة الجوع بمعماره الخفى ، ومشهد من هاملت «اللوحة العاشرة» الذى تلعب فيه الستائر دوراً كبيراً ، كما تلعب فى مشهد روميو وجولييت «١٣» ومشهدى ماكبث «٨ , ١٦» .

أضف إلى ذلك حسن تأليفه بين صورة المشهد العامة Form وبين الحركة Move-ment وبين اللون Colour . . وهذا كله بالمهارة فى توزيع الإضاءة ، لا بالاتكال على السطوح الملونة والأدهنة المفتعلة .

والظريف أن ينتبه إلى هذه الأسس الهامة أعظم المخرجين الألمان ليوبولد جسنر Jessnr « ١٨٧٨ ـ ١٩٤٥ » فيثقفها عن كريج ويقيم مدرسته فى الإخراج على أسسها ، فيأتى فيها بالمعجزات .

لقد شهد الكاتب الإيطالى ، وفنان فلورنسا الأشهر ، فيرتو سكاربللىF. Scarpellt أعمال كريج ، فكتب إلى صديقه الممثل الصقلى الكبير جيوفانى جراسو يقول : «إن كريج . . هذه الظاهرة المسرحية الفنية العجيبة . . ساحر يصنع من كل حبة قبة . . إنه يخلق عوالم بأكملها من لا شىء . . إنه يلعب بالضوء فيفتنك ، ويخيل لك أنك تسبح فى بناء كامل صنعته يد الله . . لا يد البشر . . وذلك كله من . . لا شىء تقريباً . . إلا بضع ستائر . . وشآبيب من الضوء يسقطها على مناظر ساذجة صنعها من الكرتون والأبلكاش . . فسرعان ما تنسى أبعاد المسرح ، وتشعر بأنك فى عالم بلا حدود! . . وذلك بمقدرته الفائقة على إقامة الانسجام التام ، والتناسب الدقيق بين الأضواء والخطوط ، بحيث يحدث التغير فى المنظر كله باستمرار . وأنت جالس مسحورا بما ترى . . تود أن تعيش فيه إلى الأبد . . وهو ينتقل بك من سحر إلى سحر

. . إن كريج مصور، عظيم، ومعمارى عظيم ، وشاعر عظيم . . لقد رأيت له تصميمات عن عطيل أذهلتنى وحيرتنى . . ولا أذكر أننى حلمت بمثلها مطلقا إلا وأنا أقرأ المأساة فى عزلة عن العالم! . . ألا ما أبعدنا جدا . . عن مصادر الفن السينوجرافى . . بعد الذى رأينا من فن هذا الساحر ! . . إن الإنسان مالم ير أعمال هذا الرجل وآياته . . لا يصدق أبدا أنها شىء معقول . . لقد فاتك يا صديقى نصف عمرك . . بل عمرك كله . . عندما فاتتك فرصة مشاهدة معرض هذا الداهية فى فلورنسا . . وذلك لأنك كنت سخيفاً جدًّا ، إذ خفت أن تتأخر دقائق عن رفع الستار! . . ما أتعس حظك! » .

**مجلة الماسك:**

ثم قرر كريج أن ينشئ مجلة خاصة بفنون المسرح . . ولكن الفكرة بدت فكرة جنونية فى هذا الوقت . . ولم يجرؤ أحد من الناشرين على التعهد بتمويلها . . لأنهم زعموا أنها تحتاج إلى عشرة آلاف من الجنيهات . . أما كريج . . فلم يبال بما قالوا . . وهبط بمبلغ العشرة آلاف . . إلى . . خمسة فقط . . خمسة جنيهات لا غير . . وفى مارس سنة ١٩٠٨ . . مع أنفاس الربيع : ظهرت الماسك The Mask فى فلورنسا ، وتخاطف الفنانون العدد الأول من المجلد الأول منها . . وبهرهم ما فيه من مادة فنية نفيسة ، بالرغم من ضآلة حجمه ( حجم الفولسكاب) وفى صفحات لا تزيد على أصابع اليدين إلا قليلاً . . لكنها كانت مجلة رائعة والسلام . . ورقها مما كان يصنع باليد فى تلك الأيام . . ولها غلاف أخضر لا يفضله ورق اللف عندنا اليوم . . أما الموضوعات فكلها مصورة ، وبريشة كريج، ومحفوراته الخشبية . . لقد كان كريج لا يكتفى بالتمثيل والإخراج المسرحى فحسب ؛ بل كان يصور صحيفة الببدج The page من سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩٠١ . . فلما صدرت الماسك عزم على أن يفرغ فيها خلاصة آرائه وزبدة فنه . . ومع أن ثمنها كان مرتفعاً بالنسبة إلى عملة ذلك الزمان ـ إذ كان شلنا كاملاً ـ فقد راجت المجلة ، وارتفع المطبوع منها إلى عشرة آلاف شهريًّا . . ولم يقصر كريج رسالته فيها على ما كان يتشوف إليه من مستقبل المسرح ، بل راح يعرض فنون الماضين عرضًا يبرهن به على صدق آرائه . . ونحن لا ننسى أنه كان من المتأثرين بفن

النابغة الإيطالى العظيم سرليو Serlio . . من فنانى عصر النهضة، وكان الجزء الأول من كتاب هذا العبقرى القديم، واسمه Architettura «المعمار» أكبر الأثر فى توجيه كريج هذا التوجيه الثورى الذى لم يفهمه بنو وطنه إلا بعد حين .

أخذ كريج يؤيد آراءه بنشر آراء سرليو عما ينبغى أن تكون مشاهد المآسى والملاهى والساتيريات ـ وهى نوع من المسرحيات اليونانية التى كان يبدو فيها الممثلون فى أقنعة حيوانية ويكثرون فيها من الهرج والزئيط والحركات الخشنة المضحكة . . وقد حلت محلها المسرحيات الريفية الرعائية فى أوائل عصر النهضة . . وكان سرليو يعنى فى هذا الجزء الأول من كتابه بالتركيبات الهندسية «الديكورات» لمشاهد هذه الروايات بأنواعها المختلفة . . مما كان خميرة تفكير لفن كريج ، لم يلبث أن آتى أكله .

ولقد كتب كريج إلى أحد أصدقائه سنة ١٩٤٦ يذكر أثر هذه الرسوم الهندسية فى نفسه . وأنها كانت همه الأول فى كل ما أحدثه من ثورة انقلابية فى فنون المسرح بالعالم أجمع . . ولعل هذا هو سبب غرام كريج بإيطاليا ، و إيثاره إقامة معارضه فى فلورنسا ـ لعبة الفن الإيطالى الصميم ـ ثم إصدار مجلته فيها . . ثم . . وهذه أعظم مغامرة قام بها فنان يصر على التبشير برسالته . . إنشائه معهدا للتمثيل وتعليم فنونه فيه، وفقا لآرائه !!

**معهد التمثيل :**

أجل . . لقد أقام معهداً للتمثيل فى فلورنسا ، وافتتحه فى مارس سنة ١٩١٣ . . مع أنفاس الربيع أيضاً . . ولقد أنشأه لتعليم فنون المسرح كلها ، وفق ما شرحه لنا فى هذا الكتاب الذى نقدم ترجمته اليوم فقط . . ولم يكن معهدا فى بناء منزلى كئيب كالذى يقيم فيه معهدنا فى مصر[1] . . أو مدرسة إعدادية أو ثانوية . . بل كان مسرحًا صيفيًّا

(١) بدأت الفنون كلها ـ وفن المسرح فى مقدمتها ـ تلقى العناية الفائقة فى عهد الثورة ، ولا سيما فى عهد وزير الثقافة الدكتور ثروت عكاشة ، وقد نقل معهد الفنون المسرحية العالى إلى بنائه الجديد فى مدينة الفنون بجوار معهد السينما بشارع الهرم . ونضيف : إن المعهد وأكاديمية الفنون كلها وبكل معاهدها تشهد منذ أواخر الثمانينيات تطوراً هائلاً تحت قيادة د . فوزى فهمى رئيس الأكاديمية وخريج المعهد وعميده السابق وتنفيذًا لخطته وخطة وزير ثقافة مصر ، فاروق حسنى (س) .

مزوداً بالغرف والمخازن والورش . . وكان مركزا للمجلة من سنة ١٩٠٨ . . وكان إيجاره متواضعاً . . لا يزيد عن مائة جنيه فى العام .

ثم أقبل الفنانون من أرجاء أوربا ليتتلمذوا على عاهل الفنون المسرحية فى فلورنسا، ولم يقبل منهم هذا العاهل إلا ستة وثلاثين تلميذا . . من مئات من المتقدمين ذوى «السوابق الطويلة» فى دنيا المسرح . . وعاد الباقون وهم آسفون لحرمانهم من آمال عريضة كانت تداعبهم . . لكنهم لم يسخطوا على كريج ؛ فقد عرفوا رسالته ، وآمنوا بها ، وأيقنوا أنهم لم يكونوا أهلاً للاضطلاع بها ، وأيقنوا كذلك أن معهداً لفنون المسرح شىء ، ومعملا لتفريخ الكتاكيت شىء آخر . . فالأول قد لا يتسع لستة وثلاثين طالبا مهما كان واسع الأرجاء . . والثانى قد يتسع لستة وثلاثين ألفا ؛ لأن تفريخهم لا يكلف عناء ولا يحتاج إلا إلى قليل من الدفء . . أما الأول فيكلف من الجهد ما يجر وراءه التعب والضنا والعرق . . وقد يجر الدموع أيضاً . . واستمر المعهد يؤدى رسالته . . واستبشرت أوربا كلها بأن فجرا جديدا للفن المسرحى الصحيح يوشك أن ينبثق بفضل مجهودات هذا الرجل الجبار، الذى لم يقبل أن يزيد عدد تلاميذه الستة والثلاثين طالباً واحداً . .

ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ . . وكان موقف إيطاليا من الحلفاء لم ينجل بعد . . لأنها كانت حليفة لألمانيا والنمسا ضد إنجلترا وفرنسا وروسيا . . وأثر موقفها هذا على صلاتها بانجلترا . . وكريج رجل إنجليزى . . وكان الإنجليز فى إيطاليا يرحلون عنها ؛ لأن العلاقات السياسية كانت مهددة بالانقطاع فى أية لحظة . .

وهكذا جنى هذا الموقف المائع على المعهد . . واستنجد كريج بالسفارة الإنجليزية فى رومة . . لكنها أصمت آذانها . . كما أصمت إنجلترا آذانها عن فن كريج من قبل . .

وأغلق المعهد . . وياليته أغلق فحسب . . بل تركت يد البلى تمتد إلى آيات الفنان العظيم حتى أتت عليها . . وكان قد أنفق على مادتها فقط أكثر من أربعة آلاف من الجنيهات بعملة هذا التاريخ . . فلم تبق منها إلا رسوم على ورق!

وبكى أدولف آبيا A. Appia . . هذا الفنان السويسرى ، ومخرج أوبرات فجنر . . وأعظم رجل كان يبشر بالذى يبشر به كريج . . وهو لا يعرفه . . فذهب بنفسه إلى فلورنسا سنة ١٩١٤ ليعزى زميله الفنان . . وصاحب الرسالة نفسها !

وهكذا تنتهى قصة الأرياجولدونى ! . . أو قصة معهد كريج الذى اتخذ له هذا المسرح الصيفى مكانا كان يطمع فى جعله كعبة للفن . . ! فأصبح ثكنة للجنود !

* * *

وتهدأ الصدمة قليلاً . . ويفرغ الفنان إلى بحوثه ومنحوتاته الخشبية ؛ فقد كان حفارا عظيما كما قدمنا . . ثم يعود إلى إصدار الماسك من سنة ١٩١٨ ، ويجعلها نصف شهرية ، وتستمر فى ازدهارها إلى سنة ١٩٢٩ . . وتظل تحمل مشعل الفنون المسرحية لتضىء آفاق أوربا كلها . . ولتقوم بما كان يطمع كريج أن يقوم به معهد التمثيل . . وكان أمل كريج أن يكون له مسرحه الخاص الذى يطبق فيه آراءه . . وفرقته التى تؤدى رسالته ، لكن العالم كله أبى عليه ذلك ، إلا أن أمانيه كلها تحققت ، وإن لم تتحقق على يديه شخصيا . . لقد تحققت كلها فى مسرح الفن بمدينة كونستان . . بالقرب من موسكو . . وتحققت بفضل تعاليمه كلها . . تلك التعاليم التى كانت تطبق هناك حرفيا . . ولا سيما بعد زيارته لها . . ومباشرته إخراج هملت وغير هملت .

ثم طاف الفنان العظيم بأرجاء أوربا . . وترك أثره فى كل صقع منها ؛ لقد زار السويد والنرويج «بلد إبسن» وأخرج هناك بعض رواياته ، وزار فينا وبرلين وميونخ ومانهايم وبودابست ووارسو وبراج وأمستردام . . ثم باريس حيث تتلمذ عليه جان لويس باول ودكرو وغيرهما . . كما زار كوبنهاجن ، وأخرج فيها بعض روايات إبسن . . وأعجب به الدنمركيون شعبا وحكومة وملكا . . ومنحه الملك لقب فارس سنة ١٩٢٦ عرفانا بفضله على المسرح الدنمركى .

ثم يأتى دور إنجلترا . . التى تستيقظ آخر الأمر ، فتقيم المعارض لفن كريج «معرض لندن سنة ١٩١٨؟» بعد أن أقيمت المعارض لفنه فى معظم العواصم الأوربية فى خلال عشرين سنة خلت !

. . وبعد . . فهذه لمحة من حياة هذا الفنان مؤلف ذلك الكتاب الذى نرجو أن ننتفع به فى مصر، كما انتفع به العالم أجمع . . والذى نحب أن نلفت إليه الأنظار، وأن نوصى به القراء هو أن يصبروا لقراءة الرجل الذى يسخر أحيانا سخرية شديدة بالتمثيل والممثلين والإخراج والمخرجين والتأليف المسرحى والمؤلفين المسرحيين ، حتى ليفضل عليهم الدمى!

ولنذكر أن كريج كان مغرما . . بل كان مفتونا بالفنان المصرى القديم . . وأنه لم يكن يفضل عليه فنانا آخر . . لماذا ؟ . . الجواب فى هذا الكتاب .

ثم لابد من كلمة ثناء على صديقى الأستاذ على فهمى الذى أصررت على أن يراجع هذه الترجمة ليجنبها الخطأ فى النواحى الفنية، وليقيل عثارها مما عسى أن يعتورها من عيوب . . والحق أنه أنفق فى هذا كله مجهودا مشكورا، ووضع فى خدمة الترجمة تجاريب السنين الثمانى عشرة التى أنفقها فى إنجلترا، يدرس فنون المسرح ويؤلف للمسرح ، ويمثل . . ويخرج . . ويذيع . .

القاهرة سنة ١٩٥٦

**درينى خشبة**

تمهيـــــــد

# للفنان الهنجارى : الكسندر هفستى

١ ـ مكانة المؤلف فى فنون المسرح .

٢ ـ خطر الواقعية والآلية وإفسادهما روح المسرح .

٣ ـ ما هو الفن الحقيقى ؟

٤ ـ أثر المؤلف فى وسط أوربا .

أعتقد أن المستر كريج هو أعظم الثائرين الذين عرفتهم طوال حياتى ، وذلك لأنه ينادى بالعودة إلى أقدم التقاليد التى يمكن أن تتسع لها أحلامنا . . والثورة والوحى ليسا بعيدين أحدهما من الآخر . . وهو يمنحنا كليهما ، فمشعله الذى قُسم له أن يضرم النار فى مسارحنا الباطلة وصالات الترفيه الفظيعة الهمجية ، قد استمد جذوته من تلك النيران المقدسة التى تنبعث من أقدم الفنون . ولقد أرانا كيف يمكن أن يكون البلياتشو ـ أو الراقص على الحبل ـ على شىء من الفن المسرحى لا يتوافر فى ممثلينا اليوم . . أولئك الذين يلقون من ذاكرتهم أو معتمدين على ملقنيهم . وإنى لا يخامرنى الشك فى أن جميع الذين يعملون فى المسارح فى طول أوربا وعرضها من أصحاب الأذهان الخلاقة أو مديرى المسارح الذين يزهون بأنهم ذوو أذهان خلاقة ؛ لا يسعهم إلا أن يقروا بالشكر ، أوفر الشكر ، للمستر كريج ، وينبغى لهم أن يعدوا كل الذى عمل وسوف يعمل لتشريفه إنما هو لمصلحة الفن المسرحى فى صميمه .

ولقد كان ثمة رجلان يعملان على المسرح أكثر من مائة عام يكادان يفسدان كل ما

يمكن تسميته فنًّا مسرحيًّا . . وهذان الرجلان هما صاحب المذهب الواقعى ، وصاحب المذهب الآلى . . الأول يقدم لنا محاكاة للحياة ، والثانى يقدم لنا خدعاً بدلاً من أن يقدم لنا من فنونه الأعاجيب ؛ وهكذا فقدنا ما فى الحياة من صدق وعجب ـ أى أننا فقدنا الشىء الأساسى الذى يهيمن عليه الفن ، وذاك أن الفن المسرحى حينما يكون تقليداً خالصًا للحياة لا يكون شيئاً ، إلا استعراضات تظهر فيها عظمة الحياة وضآلة الفن المسرحى .

وهذا من قبيل المثل القديم الذى يذكرنا بذاك الطفل الذى كان يحاول تفريغ البحر بصدفة . . أما خُدع صاحب المذهب الآلى المدهشة ، فقد تكون خدعاً غريبة ، إلا أنها لايمكن أن تكون عجباً .

فالآلة الطائرة شىء غريب ، بيد أن الطائرة شىء عجب . والحياة العامة عند الفنان الصادق شىء عجب ، أما الفن فهو عنده أحفل وأعمق وأزخر بالحياة من الحياة نفسها . . والفن الحقيقى يكتشف العجب دائماً فى كل مالا يبدو أنه عجب مطلقا ، وذاك أن الفن ليس محاكاة ، ولكنه إحساس .

وهذا هو الاكتشاف العظيم الذى اكتشفه المستر كريج فى المسرح ؛ لقد وجد أرض العجائب التى نسيها الناس . . أرض الجمال الغافى . . أرض أحلامنا ورغائبنا . . وقد حارب فى سبيلها فسلك فى حربه مسلك الفنان ، صادراً عن نفس طفل ، وعلم باحث وإلحاف عاشق ؛ لقد أدى أجل الخدمات للفن الذى نهواه من صميم قلوبنا ، ويسعدنا جميعاً أعظم السعادة أنه نجح فى ذلك نجاحاً تاماً .

وللمستر كريج أتباعه والمعجبون به فى بلادنا الصغيرة ـ المجر ـ ومذكان له أثره فى جميع جيلها الجديد ، فإنا نعتقد ، دون أن ينتقص ما نعتقده من مواهب الأستاذ رينهارت العظمى ، أو من حظه الأوفى فى ذلك المضمار، أن معظم ما تم من أعمال فنية فى السنين العشر الأخيرة فى برلين ودسلدورف ، وفى ميونخ وما نهايم ، قمين أن يعزى إلى ما نجح المستر كريج فى بثه من الآراء . . ونحن نقرر ذلك بوصفنا ـ نحن المجريين ـ جيرانًا بالجنب لهذه البلاد ، ونظارة على قدر طيب من حسن النظر .

ويؤسفنى أشد الأسف ألا أستطيع التعبير عن كل ما أشعر به نحو المستر كريج بأسلوب أحسن . . ولعل عذرى فى ذلك أننى أكتب بلغة ليست لغتى ، ثم إنى أعيش فى كوخ ريفى ، بعيدًا حتى عن معاجمى الإنجليزية ، ولهذا فأنا مضطر إلى أن أكتب بالأسلوب الذى أستطيع ، لا الأسلوب الذى أحب .

١٠ / يوليو / ١٩١١

**دكتور الكسندر هفستى**

مدير الإدارة المسرحية

بمسرح الدولة ـ بودابست

obeikandl.com

obeikandl.com

## مقدمة المؤلف

١ ـ رواد المسرح .

٢ ـ الغربان المتعالمون الذين لا يدرون شيئاً ولا يرضون عن شىء .

٣ ـ مرحبا بالفنانين .

وماذا يمكن أن يُقال ليصح أن يكون مقدمة ! هل ينبغى للمرء أن يطلب الصفح من أولئك الذين تسوقه غباوته إلى تكدير صفوهم ؟ أو ينبغى له أن يُسَلمِّ بأن الكلام كله هراء ، وأن النظريات لا تغنى فى الواقع إلا قليلاً ؛ حتى بعد أن يكون الإنسان قد مارس الفن الذى يدلى برأيه فيه ؟ أم هل ينبغى أن يقف المرء عند عتبة داره ليستقبل ضيوفه ، ثم يرجو لهم أن ينعموا بوقت ممتع ؟ أحسنى سآخذ بالرأى الأخير .

وما دمت فاعلاً ذلك فلسوف يتألف أضيافى من آلاف الأصدقاء المدعوين ، ومن بضعة نفر لم أدعهم ؛ بل لن أفكر فى دعوتهم ، وذلك لما يضمرونه لفننا من النوايا البالغة فى السوء ، أو البالغة فى الجهالة . . وأنا . . مصداقًا لما أقول . . أفتح باب هذا الكتاب على مصراعيه ، وبكامل رغبتى ، لأصدقائى الفنانين الذين أعزهم أعظم الإعزاز، سواء كانوا مصورين أو مثالين أو موسيقيين أو شعراء أو معماريين . وسيتحى هؤلاء لحظة بالطبع . . حتى يدخل الحسان أولاً . . ثم يأتى دور العلماء . . ولشد ما يخجلنى أن ألقى أمثال هؤلاء الأضياف ، إذ إننى ما شدوت إلا هذا الفرع الخاص من فروع المعرفة .

ثم يأتى بعدهم هذا الفريق من الكرماء ، رجالاً ونساء ، الذين يغرمون بهذا الفن ، ويشجعون على نمائه دون أن يكون لهم به كبير إلمام ؛ ويسعدنى أن

أزعـــم أن هـــؤلاء سـوف يشعـــرون بـأنهـم هنـــا بـــين أهليهـم، وفـى دارهـــم .

ثم يفاجئنا بعد ذلك أقوام آخرون . . هم أولئك المهندسون ، أو مديرو الصحف ، أو مديرو المحال التجارية ، أو الربابنة . . أولئك يروّعون الإنسان بحضورهم فجأة، أو بما يبدون من رغبة قلبية خالصة فى المشاركة فى حفلاتنا !

وثمة آخر الأمر من يعرفون بأرباب المهنة المسرحية . . فكم من هؤلاء يا ترى سوف يلبون دعوتى ؟ لعل الذين سوف يجيبونها يكونون عددا ضئيلاً . . إلا أن الذى لا أشك فيه هو أنهم سيكونون خيارهم ، وعلى هذا ، فأرجو حين يكتمل عددنا أن يكون بيننا هيفـتى، فنان بودابست، وستانسلافسكى [١] ، وسولر جتسكى [٢] ، وموسكان [٣]، وكاتشالوف [٤]، أى أولئك القادمون علينا من موسكو ؛ ومايرهولد [٥] القادم من سنت بطرسبرج (لينجراد) ؛ ودى فوس من أمستردام، وستارك من فرنكفورت ؛ وفوش من ميونخ ، وأنطوان [٦] ، وبول فورت [٧] ومدام جلبرت من باريس .

---

(١) ستانسلافسكى Stanislavsky (١٨٦٣ ـ ١٩٣٨ ) أعظم فنان مسرحى . . مخرج وممثل ومدير خدم المسرح الروسى وارتفع به إلى الذروة التى لم تطاولها ذروة أى مسرح فى العالم ، وقد كان من أعز أصدقاء المؤلف وقادرى فنه ، وهو يحدثنا عنه فى كتابه (حياتى فى الفن) My life in Art (وقدترجمناه) حديثا عجيباً اعتمدنا عليه فى كتابة مقدمة هذا الكتاب ـ وكان يعمل فى موسكو وبالأحرى فى كونستان (د) .

(٢) سولرجتسكى Sulerjitsky ـ واحد من اثنين كانا ساعدى ستانسلافسكى فى الارتقاء بالمسرح الروسى ، وثانيهما هو الموسيقار إلياساتس Sats ـ كان الأول يساعد ستانسلافسكى فى الإخراج ـ ولا سيما إخراج هذا النوع من المسرحيات التى كانت تسمى فى ذلك الوقت مسرحيات الحياة Drama of Life وكان الثانى يساعده بكتابة النوتة الموسيقية فى كثير من روايات الأوبرا ( اقرأ عنهما الأعاجيب فى كتاب : حياتى فى الفن) .

(٣) من أعظم الممثلين الروس الذى عملوا مع ستانسلافسكى .

(٤) فاسيلى كاتشالوف من زهرة الممثلين الروس الذين عاونوا ستانسلافسكى أيضاً .

(٥) ما يرهولد ( فسفولد) ( ١٨٧٤ ـ ١٩٤٠ ) مدير فرقة مسرحية من موسكو وأصبح أبرز وأكبر مخرج مسرحى فى المسرح السوفيتى (د) .

(٦) أندريه أنطوان هو مؤسس المسرح الحر Théatre Libre فى باريس فى القرن التاسع عشر (١٨٨٧) لتمثيل المسرحيات التى كان ينظر إليها حينئذٍ على أنها خارجة على العرف والمسرحيات ذات الصيغة الأدبية الجريئة، وقد أنشئت مسارح على غراره فى برلين ولندن ونيويورك ، إلا أنها فشلت جميعاً . . حتى « التياتر ليبر » نفسه ، ثم عاد أنطوان فأنشأ مسرحا باسمه فى باريس ١٨٩٧ (د) .

(٧) بول فوورت هو منشىء مسرح الفن Theatre d'Art فى باريس سنة ١٨٩١ ـ وهو المسرح الذى كان ينافس المسرح الحر ، ويهدف إلى التسامى بموضوعات المسرحيات حينما أسف رجال المسرح الحر بموضوعاتهم الطبيعية (د) .

وشاعرنا العظيم ييتس[1] ، من إيرلنده . ذلك الذى ظفر بإعجاب الجماهير بما ألف للمسرح . . ثم تطوف بنا بعد هؤلاء أطياف فالنتين البرلينى ، وفسبيانسكى الكراكاوى ، وآبيا[2] الإيطالى .

وأتفه هؤلاء شأنا هم الضيوف الفضوليون ، بسخرياتهم الرخيصة وملاحظاتهم اللاذعة التى يتعمدون بها تكدير كل لحظة من لحظات صفونا ، ويشينون بها كل عمل من أعمالنا ، أولئك الذين سيحاولون ما استطاعوا أن يسلبونا كل متعة يتيحها لنا اجتماعنا السعيد .

ولكن لنظن خيرا . . ولنأمل أن يظل هؤلاء الناس بمعزل منا . . أما الآخرون . . فسأقدم إليهم كل مافى الدار ، ثم أرجو مخلصا أن يكون مسرحى ونفسى عند حسن ظنهم دائماً وإلى ما شاء الله .

وما دمت فى دارى ، فإننى أطلق لنفسى العنان ، إذ لا تكليف بين الأصدقاء ؛ ولو توخيته لظنوا أننى يساورنى الشك فى أن يكونوا جواسيس .

وإنه ليشرفنى أعظم التشريف أن يكون من بين أصدقائى أسماء الصفوة من فنانى أوربا ؛ وأحسب أننا نستطيع أن نستشعر السعادة لما نالته حركتنا من تقدم ، حركتنا التى قُدِّر لها آخر الأمر أن تستعيد للفنون المسرحية مكانتها القديمة بين سائر الفنون الرفيعة .

لندن ـ السادس عشر من أغسطس سنة ١٩٢١

**أ . ج . ك**

---

(١) وليم بتلر ييتس ( ١٨٠٥ ـ ١٩٣٩ ) شاعر ومسرحى إيرلندى عظيم ، ومن أحسن مسرحياته (حيث لا شىء Where There is Nothing ـ ( وله مجموعة مسرحيات شعرية مطبوعة سنة ١٩٠٤ ) .

(٢) أدولف آبيا ( ١٨٦٢ ـ ١٩٢٨ ) هو فنان المسرح السويسرى الألمانى أعظم مصورى المناظر لمسرحيات فجنر الموسيقية ، ويعدّ رائد تطوير الفن المسرحى وتحويله من الدراما ولغة الكتابة إلى المسرح واللغة البصرية وقد ألف كتابه «إخراج المسرحيات الفجنرية : «La mise en Scéne du Drame Wagnérien» عام ١٨٩٥ بعد وفاة فجنر باثنتى عشرة سنة وقد برهن على أنه كان يفهم فجنر أكثر من فجنر نفسه ثم أصدر كتابه النظرى الرئيسى : الموسيقى وتصميم المناظر عام ١٨٩٩ ـ وآبيا جدير بالدراسة ، فعليك بالمطولات لتفهمه ولتعى مذهبه(د) .

obeikandl.com